

موريطانية الغربية (المغرب القديم) من المملكة المستقلة إلى الولاية الرومانية (القرن الثالث قبل الميلاد-القرن الميلادي الأول)

سيدي محمد العيوض
المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس اكدال الرباط

Bien que rares, les informations sur la période maure, en comparaison avec l'époque romaine, attestent que le royaume maure est resté neutre dans le conflit entre Rome et Carthage.

Avec l'avènement de Jugurtha, les informations relatives au royaume des Maures sont disponibles, par rapport à la période précédente. La guerre menée par ce chef, était un tournant dans l'histoire du pays. La succession des événements après cette période ont lié le royaume à l'empire romain. Il est devenu une zone de concurrence entre les commandants romains. Cela a entraîné l'occupation du pays après la mort du roi Ptolémée et le déclenchement de la révolution d'Aedemon.

Malgré l'élimination de cette révolution le pays a connu des affrontements auxquels ni les compagnes militaires, ni les traités avec les tribus n'ont pu mettre fin jusqu'à l'évacuation romaine.

رغم قلة المعلومات المتوفرة حول الفترة السابقة عن الاحتلال الروماني للمغرب، مقارنة مع فترة الاحتلال الروماني فإنها تؤكد موقف الحياد الذي كان لمملكة الموريين (الامازيغية)، خلال فترة معينة، في الصراع الذي دار بين روما وقرطاج، خاصة على عهد الملك باكا وبعده بوكوس الأول.

ومع بروز نجم يوغرثا (يوغرطة) على مسرح الأحداث التي عرفت المنطقة، أصبحت المعلومات المرتبطة ببلاد الموريين متوفرة مقارنة مع الفترة السابقة. فالحرب التي خاضها هذا الزعيم، كانت نقطة تحول في تاريخ البلاد. فتوالي تطور الأحداث بعد ذلك جعل مملكة الموريين مرتبطة بالتطورات التي عرفت الإمبراطورية الرومانية، إذ غدت مجالا للمنافسة بين القواد الرومان. انتهت خلال القرن الميلادي الأول باحتلال البلاد بعد مقتل الملك الموري بطليموس واندلاع ثورة أيديمون. ورغم القضاء على هذه

الثورة فقد توالفت خلال مراحل الاحتلال مواجهات لم تضع حدا لها لا الحملات التي كانت تجردها روما للقضاء عليها ولا اتفاقيات الهدنة التي كانت تعقد مع القبائل.

تبقى المعلومات المتوفرة حول الفترة السابقة عن الاحتلال الروماني للمغرب نادرة، مقارنة مع فترة الاحتلال الروماني، في الوقت الذي تتوفر في شكل واف بالنسبة لباقي ممالك شمال إفريقيا الأخرى. قد يعود ذلك بدون شك إلى الدور الذي كان لهذه الممالك الأخيرة في الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة، من أجل السيادة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وبقاء غرب الشمال الإفريقي بعيدا عن الصراع الذي كان قائما بين روما وقرطاجة خلال قرون.

من الإشارات الفريدة التي تتوفر عليها في هذا الشأن ما ورد عند المؤرخ تيتوس ليفيوس (*Titus Livius*) والتي تخص الحديث عن مساعدة باكا (*Baga*) الملك الموري، لمسنيسا (*Massinissa*) ابن حاكم مملكة الماسيلين (*Massyles*) وإمداده بأربعة آلاف محارب ساعده على الوصول إلى مملكة أبيه.

نقرأ في هذه الإشارة، أهمية عدد المحاربين الذين كانوا بمملكة الموريين، وذلك من خلال إرسال أربعة آلاف محارب ليساعدوا مسنيسا على عبور أراضي الجيتوليين (*Gaetuli*) والعودة أدرجهم. إن هذه العودة توحى لنا أن مملكة الموريين، ظلت خلال فترة معينة بعيدة عن الصراع الدائر وقرطاجة وروما وحلفائهما الماسيليين والماسيسيليين. وإذا كان كاركوبينو (*J. Carcopino*)¹ قد تناول مسألة تحالف ملك الموريين باكا مع مسنيسا والرومان، وأشار إلى أن استجابة هذا الملك لطلب مسنيسا تدخل في هذا الإطار، فإن المعلومات المتوفرة تؤكد موقف الحياد الذي كان للمملكة في هذا الصراع، وبالضبط خلال الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م.)، في وقت مالت فيه مملكتنا الماسيليين والماسيسوليين إلى جانب طرفي النزاع.

نفس الشيء ينطبق على الفترة التي تلت حكم هذا الملك، فالمصادر تتحدث عن الملك بوكوس الأول الذي كان يحكم بلاد الموريين سنة 118 ق.م، ولا نستقي منها سوى معطيات قليلة تدل على قوة المملكة في ظل حكم هذا الملك².

ومع بروز نجم يوغرتن (يوغرطة) على مسرح الأحداث التي عرفتها المنطقة، أصبحت المعلومات المرتبطة ببلاد الموريين متوفرة مقارنة مع الفترة السابقة لهذا الزعيم. فحرب يوغرطة التي لعب فيها بوكوس دورا أساسيا لفائدة الرومان، كانت نقطة تحول في تاريخ

¹ CARCOPINO (J.), *Le Maroc antique*, Paris 1948, p.28.

² مجدوب محمد، مملكة الموريين وعلاقتها بروما إلى غاية 33 ق.م. د.د.ع. كلية الآداب فاس 1989-1990، ص. 43-44.

البلاد. جاء ذلك بعد المحاولات الناجحة التي قام بها القائد الروماني "سولا" (Sylla) لإقناع هذا الملك بالوقوف إلى جانب الرومان ضد صهره يوغرتن.

خلف تسليم يوغرتن للرومان من طرف بوكوس، ردة فعل قوية من قبل السكان، الأمر الذي أحدث قطيعة بين الملك ورعيته. في الوقت الذي أظهر فيه هذا الأخير ولاءه لروما، بإرساله تماثيل ذهبية لربات النصر وتماثيل تحمل صورته وهو يسلم يوغرتن للقائد الروماني سولا.³

تتمثل أهم الأحداث التي عرفتها نهاية حكم بوكوس في ثورة الموريين ضد أسكاليس. فقد أشار المؤرخ أفلوتارخوس (Plutarque) إلى أن سيرطوريوس (Sertorius) ممثل القائد الروماني ماريوس (Marius)، واجه أسكاليس واحتل تينكي (طنجة) وسلم للموريين ثرواتهم ومدنهم وحكمهم.⁴ ويضيف أ.جودان (A.Jodin) أن سيرطوريوس (Sertorius) قد حاصر أسكاليس (Ascalis) في ويلي، وقد اعتمد هذا الباحث في تأكيد هذا الحصار، على العثور بالموقع على قذائف حجرية ورصاصات مقلعية (Balles de fronde) إضافة إلى هدم جزء من السور الأول لويلي.⁵ مع العلم أن لا شيء يؤكد ما ذهب إليه أ.جودان، خاصة أنه قد تمت الإشارة في عدد من الدراسات على أن هذا الجزء من السور أقيم خلال فترة معينة وأنه تم التخلي عنه فيما بعد، ولم تتمكن الحفريات التي عرفتها بعض جهات ويلي لحد الآن من تحديد امتداده.⁶

في هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى أن بلاد الموريين قد أصبحت خلال هذه الفترة مرتبطة بالتطورات التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية، إذ غدت مجالاً للمنافسة بين القائدين الرومانيين بومبيوس (Pompeius) وقيصر (César). فخلال فترة أولى كانت موالية للقائد الروماني بومبيوس، الذي قام بحملة ما بين السنتين 81 و80 ق.م، أسفرت عن تحطيم

³ نفسه، ص.115.

⁴ انظر حول هذه النقطة ما أورده محمد مجدوب، ن.م، صص.117-120.

⁵ JODIN (A.), *Volubilis regia Iubae contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien*, Paris 1987, pp.307-310.

⁶ BEHEL (M), *Fortifications préromaines au Maroc: Lixus et Volubilis, essai de comparaison*, dans *Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des sciences de l'archéologie et du patrimoine de Rabat avec le concours de l'école française de Rome*, Larache, 8-11 novembre 1989, Rome 1992 pp. 239-247.

LENOIR (E.), *Traditions hellénistiques et techniques romaines dans les enceintes urbaines du Maroc*, dans *la fortification dans l'histoire politique, sociale et culturelle du monde grec* CNRS Colloque International 614(Valbonne, 8-10 Décembre), Paris, 1986, pp.337-344.

بعض المدن، مثل زليل وسيدي عبد السلام دلبحر وتمودة وناحية طنجة وليكسوس⁷، وقد أرخ لهذا التحطيم بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد⁸.

كما عرفت نهاية القرن الأول قبل الميلاد، تطورات أثرت بشكل واضح في الأوضاع العامة للبلاد. إذ بعد عودة أربيون (ARABION) أحد أبناء مسينيسا، تمكن من قتل سينيوس (Sittius) واسترجع الأراضي التي كان قد استولى عليها بوكوس الثاني. هذا الأخير انحاز إلى صف فانكو (Fanco) الموالي للقائد الروماني أوكتافيوس ضد سيكستوس واريون الموالين للقائد الروماني أنطونيوس⁹. وتمكن من إعادة السيطرة على نوميديا بعد مقتل أربيون سنة 40 ق.م.¹⁰

دفع تطور الأوضاع بالملكين بوكوس الثاني وبوغود (Bogud)، إلى إقامة تحالفات جديدة. هكذا تحالف الأول مع القائد أوكتافيوس والثاني مع القائد أنطونيوس¹¹. فقد شن بوغود سنة 38 ق.م. هجوماً على إسبانيا فثار ضده رعاياه في تينجي. وانتهت المواجهة بهزيمته، وانتقلت مملكته إلى بوكوس الثاني، في حين حصل سكان تينجي على حق المواطنة. وكانت نهاية بوغود على يد أكريبا (Agrippa) في معركة أكتيوم (Actium) سنة 31 ق.م.¹²

عرفت مملكة الموريين بعد وفاة بوكوس فترة فراغ في العرش، امتدت بين السنتين 33 و25 ق.م، فاضطر أوكتافيوس إلى أن يتدخل شخصياً في تسييرها. يعكس هذا التسيير المباشر لأمر بلاد موريطانية، رغبة القائد الروماني في إلحاق هذا الإقليم بروما. وإذا كانت بعض الظروف تقوم على أساس أن بوكوس الثاني (Bocchus) لم يخلف وريثاً، وبذلك حق للرومان تولي شؤون البلاد¹³، فإن هناك مصادر أخرى ذكرت أبناء لهذا الملك، وأشارت إلى أن بوكوس ربما ترك وصية لأوكتافيوس. على أن الأمر الذي ظل عالقاً، هو الطريقة التي كانت تسيير بها موريطانية. فقد جاءت الآراء في هذا الصدد متضاربة، ويمكن أن نرجح، أن موريطانية قد ألحقت ببيتيكا (Baetica)، وذلك لتجنب التكاليف التي يتطلبها ضم المملكة¹⁴.

⁷ مجدوب محمد، مملكة الموريين، ص.124.

⁸TARRADELL (M.), *Marruecos punico*, Tetuan, 1960, p.294.

⁹ GSELL (S.), *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, T.8, Paris 1928, p.184.

¹⁰ مجدوب محمد، مملكة الموريين، ص.150.

¹¹ يلاحظ أنه مع اندلاع الحروب الأهلية الرومانية ازدادت وطأة الرومان في موريطانية الذين استغلوا الملوك الموريين لصالحهم.

¹² مجدوب محمد، مملكة الموريين، ص.152.

¹³ GSELL (S.), *Histoire ancienne* T8, cit., p.15

¹⁴ DECRET (F.), FANTAR (M.), *L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines aux Vème siècle*, Paris, 1981, p.163.

يفسر عدم إحقاق موريطانية بالإمبراطورية الرومانية، في نظرنا، بالمقاومة التي واجهها الرومان، مما استدعى إقامة عدد من المستوطنات، زليل وبناصا وبابا. اعتمدت كنفط ارتكاز تمهيدا للسيطرة النهائية على البلاد. وحتى وإن كانت فكرة مشروع إحقاق موريطانية وإنشاء ولاية رومانية قد تبلورت ابتداء من سنة 33 ق.م¹⁵، وأن هناك ظروفًا قد حالت دون ذلك، فإن الأسباب الداخلية والتمثلة في عنف المقاومة سيكون لها وزنها الكبير. فموقف الموريين كان مناهضا لسياسة أوكتافيوس، وهو ما يتجلى أثريا في الهدم الذي عرفته بعض المواقع الشمالية¹⁶. وقد أعقب هذه الفترة التي استمرت ثمان سنوات، تعيين الإمبراطور أغسطس ليوبا الثاني ملكا على موريطانية.

تتمثل دواعي اختيار يوبا الثاني، في كونه تلقى تربية خاصة داخل البلاط الروماني، بل إنه أظهر ولاءه الدائم للإمبراطور أغسطس، إلى حد أنه قام بتأليهه. ونفس النهج سار عليه ابنه بطليموس.

أثبتت العديد من الدراسات أن هذين الملكين كانا في خدمة روما ويطبقان سياستها الرامية إلى احتواء هذا الإقليم¹⁷. كما أن الصراع الذي حدث بين يوبا الثاني والقبائل المورية يعود بالأساس إلى حرمان هذه الأخيرة من أراضيها التي استولى عليها الرومان، ووقوفه إلى جانب هؤلاء في مواجهتهم القبائل المعادية لهم. فسياسة هذا الملك كانت تستهدف الحد من تحركات القبائل وتطبيق السياسة الرومانية¹⁸. هكذا يبدو أن كل هذه الآراء تصب في اتجاه واحد، يتمثل في انعكاس الاستيطان الروماني على البنيات القبلية، وفي خدمة يوبا الثاني للسياسة الرومانية.

وإذا كان البعض قد اعتبر أن الملك بطليموس (*Ptolemaios*) قد سار في نفس النهج الذي سلكه والده فيما يخص التعامل مع القبائل، فهناك من رأى فيه شخصية ساهمت في استقرار الوضع في عهده، عكس ما كان عليه الأمر على عهد سلفه¹⁹.

مثل القرن الميلادي الأول فترة حاسمة في تاريخ المغرب القديم، لأنه يسجل انتقال المغرب من فترة الحماية التي مثلتها مملكة يوبا الثاني وابنه بطليموس إلى فترة الاحتلال المباشر. لقد تسبب كالغولا (*Calligula*) في إحقاق موريطانية سنة 40 م بالإمبراطورية الرومانية بعد اغتيال ملكها بطليموس، وبهذا وضع حدا لتجربة الحماية التي استمرت من

¹⁵ انظر ما أورده مجدوب محمد حول هذه النقطة: مملكة الموريين، ص.154.

¹⁶ نفسه.

¹⁷ COLTELLONI-TRANNOY (M.), *Le culte royal sous les règnes de Juba II et de Ptolémée*, «B.C.T.H.», 1992, pp.69-81.

¹⁸ مقدون محمد، ثورة أيديمون، صص.82-88.

¹⁹ انظر في هذا الصدد:

GHAZI-BEN MAISSA (H.), *Encore et toujours sur la mort de Ptolémée roi amazigh de Maurétanie*, « Hespéris-Tamuda », 1995, pp.21-37.

سنة 25 قبل الميلاد إلى سنة 40 ميلادية. شكل مقتل هذا الملك نقطة تحول في تاريخ موريطانية. إذ بادرت روما بعد ذلك إلى تطبيق سياسة الحكم المباشر الذي أصبح يخدم مصالحها. كما فجر مقتل هذا الملك ثورة مورية عارمة في مجموع البلاد، دامت لمدة سنتين، اضطرت معها روما إلى تجنيد قوات مهمة من أجل القضاء عليها. وبالمناسبة يطرح علينا السؤال التالي: هل كان مقتل الملك الموري بطليموس سببا في اندلاع ثورة أيديمون؟

لقد تضاربت الآراء بين الدوافع الذاتية والمتمثلة في إخلاص عبد معتق، هو أيديمون²⁰، لسيده، وبين الدوافع الاقتصادية، فالموريون إذا كانوا قد قبلوا استمرار نظام الحماية الرومانية والخضوع لسلطة يوبا الثاني وابنه بطليموس، فلأنهم كانوا يعون جيدا سلبات الحكم المباشر الذي ستطبقه روما بعد مقتل بطليموس. على هذا الأساس، فنظرية الولاء لها، لا تقوم في نظرنا على أساس قوي، خاصة إذا علمنا أن عددا من القبائل التي انضمت إلى ثورة أيديمون، كثيرا ما عانت من مضايقات يوبا الثاني وبطليموس للقضاء على تحركاتها وذلك خدمة للمصالح الرومانية. وبالتالي فإن الاحتلال المباشر للبلاد كان سببا في ائتلاف هذه القبائل التي كانت تقاوم التدخل الروماني.

هكذا تم وضع حدا لتجربة الحماية التي استمرت من سنة 25 قبل الميلاد إلى سنة 40 ميلادية. تفيد كل الفرائن أن نظام الحكم هذا الذي طبقه الإمبراطور أغسطس في موريطانية الغربية شبيه بما قام به في دالماسيا ورايتيا وتراقيا، وما قام به حكام آخرون في جهات أخرى من المعمور آنذاك، ويدخل هذا ضمن سياسة احتواء كل مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط²¹.

وإذا كانت الآراء قد تضاربت بخصوص الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انتقال موريطانية من إقليم تابع إلى آخر خاضع للاحتلال المباشر، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن العامل الاقتصادي هو الأرجح، نظرا لما عرفته الإمبراطورية الرومانية من أزمت متوالية أرهقت كاهل الدولة، فاستلزم ذلك البحث عن حلول ناجعة²².

لقد أعقب مقتل بطليموس رد فعل عنيف من قبل السكان تمثل في ثورة عارمة قادها العبد المعتق أيديمون. وما ساعد على اندلاعها أكثر هو ذلك الشعور الذي انتاب القبائل عند فقدانها لبعض الامتيازات- على قلتها- التي كانت توفرها لهم ملكية محمية مما جعلها تدرك أن هذا الاحتلال المباشر سيجرمها من متنفسها الاقتصادي وسيصبح كاهلها مثقلا بضرائب إضافية.

في ظل هذه الوضعية التي أصبحت عليها البلاد بعد سنة 40 م تقيدنا مجموعة من النقائش والدراسات بأهمية الدور الذي كان لوليلي في ترجيح كفة الرومان. فقد اعتبر البعض هذه

²⁰ هناك من قدم أن أيديمون كانت له مكانة مهمة في بلاط الملك الموري بطليموس:

CARCOPINO (J.), *Le Maroc romain*, Paris, 1943, pp. 194-196

²¹ محمد مقدون، ثورة أيديمون، ص. 11.

²² BENABOU (M.), *La résistance africaine à la romanisation*, Paris, Maspero, 1976, p.90.

المدينة نقطة ارتكاز بالنسبة للقوات العسكرية الرومانية، ومركز قوة بالنسبة للسلطة الرومانية²³. هذه الأهمية جعلت البعض يعتبر ويلي عاصمة يوبا الثاني إلى جانب قيصرية. فإذا كانت الشواهد المتوفرة لدينا تدل على أن قيصرية كانت عاصمة، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لويلي، إذ لم ترد في النصوص القديمة أية إشارة إلى ذلك²⁴.

إضافة إلى ذلك هناك من اعتبر أن ويلي كانت خلال هذه الحرب الأولى مرتبطة بروما بحلف يقوم على مساعدة الجيوش الرومانية في رد الأخطار المهددة²⁵ وقد ظهر ذلك جليا خلال حرب أيديمون²⁶. فخوف "الوليليين" على مدينتهم وممتلكاتهم جعلهم ينحازون للقوات الرومانية²⁷. إذن فقد كان على أيديمون أن يواجه القوات الرومانية²⁸ والسكان المرومنة في المدينة. وكانت الحرب بالنسبة لقسم من ساكنة ويلي مناسبة لإظهار ولائهم وتبعيتهم لروما.

لقد حصل هذا التحالف بين الجانبين ربما خلال فترة فراغ العرش التي تمتد من سنة 33 إلى 25 قبل الميلاد²⁹، الأمر الذي يعني أن ساكنة ويلي كانت تتمتع بحق المواطنة الرومانية، خاصة وأن هذه المدينة ارتقت إلى مرتبة مونيكيبوم (*Municipium*) بعد هذه الحرب³⁰. إن هذه المرتبة، تفسر درجة الرومنة التي وصلتها ويلي حتى قبل إخضاع البلاد للسيطرة الرومانية المباشرة.

²³ CARCOPINO (J.), *Le Maroc*, cit., p.177.

²⁴ نورد هنا مثال بلينيوس الشيخ الذي أشار إلى أن القيصرية كانت عاصمة يوبا الثاني، في حين أنه بالنسبة لويلي يورد فقط أنها كانت بمثابة أيديوم (*Oppidum*):

PLINE (L.), *H.N.*, V,5, Texte établi, traduit et commenté par Desanges (J.), Paris, 1980.

²⁵ CHRISTOL (M.), *Volubilis cité fédérée ?*, « M.E.F.R.A. », 92,1980,1, pp.329-345.

²⁶ تؤكد نقیشة I.A.M., 2, 448، وجود قوة رومانية عززها العثور على نقیشتين مأميتين في حي التل لجنديين من الكتبية الأولى الإسبانية:

La cohors prima hispanorum, voir REBUFFAT (R.), *L'armée de la Maurétanie Tingitane*, « M.E.F.R. », t.1,1998, pp.132-128.

²⁷ RACHET(M.), *Rome et les berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien*, Bruxelles, 1970.

p.132.

²⁸ خلص دوزانج إلى أنه لا يعرف ما إذا كانت القوات الرومانية قد انطلقت من نقطة عسكرية من نوميديا أو قدمت من بيتيكا أو نسقا معا عملياتهم العسكرية انطلاقا من هاتين القاعدتين :

PLINE (L.), *H.N.*, V,1-46, texte établi, traduit et commenté par DESANGE (J.), Paris, 1980, p.121.

²⁹ *Ibid.*, p.34; REBUFFAT (R.), *Recherches sur le bassin du Sebou*, « C.R.A.I. », 1986, p.650; LEVEAU (PH.), *Caesarea de Maurétanie, ville romaine et ses compagnes*, Coll. E.F.R., n.70, 1984, p.319.

³⁰ بدأت هذه الحرب على عهد كاليكولا واستمرت على عهد كلاوديوس (*Claudius*). وقد شارك فيها سكان ويلي بقوات مساعدة تحت قيادة ماركوس فاليريوس سيويروس وانتهت بانتصار الرومان سنة 42 م.

قدمت كثير من الدراسات وليلي في صورة مدينة محاصرة تعرضت للتخريب بعد الثورة التي قادها أيديون وقد تم تدعيم هذه الطروحات بالاستبار الذي أنجزه موريس أوزينا بجوار المعبد C، حيث رجح أن المدينة تحطمت عند قيام الثورة وعرفت فراغا عمرانيا خلال القرن الأول والثاني الميلاديين لتستمر الحياة بعد ذلك في الموقع خلال القرن الثالث، وهو التاريخ الذي بني فيه المعبد "س" ³¹. وسارت في نفس الاتجاه بعض الأبحاث الأخرى التي ترى أن هذه الحرب قد أدت إلى تقتيل عدد مهم من السكان من بينهم مواطنون عاديون، وإلى استيلاء جيوش أيديون لفترة معينة على المدينة ³². إلا أن فكرة التحطيم لم تؤكدتها الدراسات اللاحقة، ³³ فعدم وجود إعمار خلال القرنين الميلاديين الأول والثاني يعود إلى ما أحدثته العوامل الطبيعية والبشرية في الطبقات من تبعثر في المستويات الأثرية، وإلى محدودية نتائج إستبار أوزينا ³⁴. وحتى وإن وقع تبني نتائج هذا الاستبار الخاصة بوجود طبقة إحراق، فإن ذلك لا يؤكد فكرة التحطيم، فالأمر يتعلق باستبار لا تتعدى مساحته ثمانية أمتار مربعة من مجموع مساحة الموقع التي تقدر بحوالي أربعين هكتارا. يضاف إلى ذلك أن طبقة الحريق لا تتعدى سنتيمترين، ولا يمكن أن تطابق حجم حطام المدينة أو حتى جزء منه ³⁵.

إن ما يؤكد عدم تبني هذا الافتراض الذي تقدم به موريس أوزينا (M.Euzennat) هو أن كل الحفريات المتوالية التي عرفها الموقع لحد الآن كشفت عن وجود استمرارية في الاستقرار بهذه الجهة ³⁶، وبذلك فمسألة الحصار أو الاستيلاء على المدينة، وكذا تقتيل أهلها

³¹ EUZENNAT (M.), *Le temple C de Volubilis et les origines de la cité*, «B.A.M. », 2, 1957, pp.41- 63.

³² GASCOU (J.), *La succession des bona vacantia et les tribus romaines de Volubilis*, « Ant,Afr », 12, 1978, p.113.

³³ محمد مقدون، ثورة أيديون، ص.301.

³⁴ نفسه.

³⁵ LENOIR (M.), *Histoire d'un massacre, Apropos d'IAMlat, 448, et des bona vacantia de Volubilis dans Africa romana, Atti del XI Convegno di studio (Sassari, 16-18 dicembre 1988)*, Sassari 1989, p.97.

³⁶ أعاد البعض النظر في فكرة وجود آثار حريق ورماد في المستويات التي عرفت تحطيمًا. من خلال الكشف عن عدد من الكرات الحجرية قرب السور ووجود بعضها الآخر في المستويات الموريطانية لحي التل، وهو ما اعتبر دليلا على تحطيم عنيف. الأمر الذي يؤكد أننا بعيدين بذلك عن سنة 40 م، وقد حاولوا الربط بين آثار الرماد التي تحدث عنها أوزينا وآثار الحريق والرماد الذي أقر بوجوده في حي التل وربط كل ذلك مع الأحداث التي عرفت في البلاد خلال ثورة أيديون. إلا أن ما يمكن تأكيده، هو عدم وجود أي داع لربط هذا المستوى بحرب أيديون. حول هذه الفكرة انظر:

BOUZIDI (R), *Recherches archéologiques, sur le quartier du Tumulus (Volubilis)*, thèse pour l'obtention du diplôme de 3ème cycle des sciences de l'archéologie et du patrimoine, option archéologie préislamique année 2000-2001, p.226.

غير واردة وعلى العكس من ذلك يمكن الحديث فقط عن تدمير بعض المنشآت القروية في منطقة ويلي خلال العمليات العسكرية استدعتها حرب أيديمون³⁷.

إن إخماد هذه الثورة لم يمهّد لمواجهة بين سكان موريطانية وقوات الاحتلال الرومانية التي اضطرت لتجنيد قوات إضافية لمواجهة هذه المقاومة، إذ تولى سويتونيوس باولينوس، كما ورد عند بلينيوس القديم (*Plinius Secundus*) مطاردة الموريين حتى سفوح الأطلس³⁸، كما تصدى هوسيديوس كيطا لمقاومة سلابوس التي انتهت بهدنة بين الطرفين³⁹.

بعد هذه الأحداث التي عرفتها البلاد، قام الإمبراطور كلاوديوس سنة 42م بتقسيم موريطانية إلى قسمين، قسم شرقي يحمل اسم موريطانية القيصرية، وقسم غربي يحمل اسم موريطانية الطنجية. لقد أكد بعض الدارسين⁴⁰ على تأخر حدوث هذا التقسيم وأنه تم بصورة بطيئة، مع العلم أن عدم ذكر هذا التقسيم في مصدر أو مصدرين⁴¹ ليس بمؤشر قوي على تأخيره. ويمكن أن ندعم ذلك بالإجراء الذي قام به الإمبراطور كلاوديوس والمتمثل في تعيين حاكم من الفرسان في كل من الولايتين، وهو ما يفسر حرص الإمبراطور على أن تكون له مراقبة مباشرة عليهما⁴².

إنها شهادة حية على أن السكان لم يقبلوا هذه السيطرة الأجنبية، وهو ما ستؤكد مقاومة التي لم تتوقف حتى بعد الجلاء الروماني عن الجزء الجنوبي من موريطانية الطنجية. ونوعية السلطات التي كانت تمنحها روما للبروكراتور حسب فترات الاستقرار والاضطراب التي تعرفها البلاد. فتعيين م.فاديوس كلير ماكسموس (*M.Fadiusceler*) (*Maximus*) الذي كان حاكما (*Prolegatus*) على الولاية⁴³ يفيد أن الاضطرابات لم تنته بعد⁴⁴.

إن إخضاع البلاد للسيطرة الرومانية وإنشاء إقليم موريطانية الطنجية عززهما الإمبراطور كلاوديوس الذي تابع تطبيق سياسة أوغسطس، بمنح مدينة ويلي مرتبة مونيكبيوم. وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه لم يتم إنشاء أية "بلدية" في موريطانية الطنجية بعد هذا التاريخ⁴⁵ لأن الأباطرة الرومان ربما لم يكونوا يشجعون الحياة البلدية والرومنة⁴⁶.

³⁷ *Ibid.*, p.102.

³⁸ PLINE (L.), *H.N.*, V, 1,14-16, texte établi, traduit et commenté par DESANGES (J.), Paris, 1980.

³⁹ BENABOU (M.), *La résistance*, cit., p.92.

⁴⁰ CARCOPINO (J.), *Volubilis regia Ivbae*, « Hesperis », 1937, pp.15-17.

⁴¹ أنظر مثلا:

CARCOPINO (J.), *Volubilis*, cit., pp.15-17

⁴² BENABOU (M.), *La résistance*, cit., p.94.

⁴³ *I.L.M.*, 56.

⁴⁴ BENABOU (M.), *La résistance*, cit., p.94.

⁴⁵ *Ibid.*, pp.238-240.

ويبدو أن استمرار انعدام الأمن في موريطانية هو الذي لم يشجع على إنشاء بلديات أخرى بل أكثر من ذلك هناك من عزا هذا الأمر، إلى ضعف الكثافة السكانية.⁴⁷

واعتمادا على النقيشة التي عثر عليها في ولبلي⁴⁸، فإن إنشاء بلدية ولبلي حصل بين 25 يناير 41 م و24 يناير 45 م، إذن فقد مرت أربع سنوات على حرب أيديمون وتحويل مدينة ولبلي إلى بلدية. خلال سنة 42 م بعد هزيمة سلابوس (*Salabus*) أرسل ماركوس فاليريوس سيفيروس (*M. Valerius Severus*) في سفارة إلى روما للحصول على امتيازات⁴⁹ منها ما يخص الجانب الضريبي⁵⁰، إذ سيتم إعفاء السكان من أداء الضرائب لمدة عشر سنوات ابتداء من سنة 44 م⁵¹.

يؤكد تسيير ولبلي من قبل هذا الشخص الذي كان إديلا، كما هو وارد على النقيشة، ووقوفها بعد مرحلة الإلحاق سنة 40 م، إلى جانب روما في مواجهتها لثورة أيديمون، الرومنة العميقة للمدينة، ويتجلى ذلك بوضوح في النقائش التي تبين درجة رومنة المدينة قبل أن تصبح بلدية. فوظيفة الإيديلية كانت موجودة بولبلي قبل ارتقاء المدينة إلى بلدية، ذلك أن ماركوس فاليريوس سيفيروس كان شوفيطا قبل أن يصبح إديلا.⁵² إن هذه الرومنة المبكرة تفسر في نظر البعض بانحياز ولبلي إلى جانب الرومان خلال حرب أيديمون⁵³. تم الوقوف على هذه المسألة كذلك في مدن أخرى خارج موريطانية الطنجية، مثل مدينة لبيتس التي ظهرت فيها بوادر الرومنة قبل تشكيل البلدية، إضافة إلى أن الشوفيطة سبقت الإيديلية⁵⁴.

إن درجة الرومنة التي بلغتها ولبلي خلال هذه الفترة السابقة عن فترة الإلحاق الروماني، يمكن أن تفسر بتأثير المستوطنات الرومانية التي أقيمت في موريطانية خلال سنوات 33-27 قبل الميلاد، والتي كانت لها علاقة مع ولبلي لدرجة أن الدفاع عن المصالح الرومانية بات مشتركا وواجبا بين مجموع سكانها.⁵⁵ وإذا أضفنا إلى ذلك أن مؤسسة الإيديلية التي لا نجدها إلا في المدن ذات المؤسسات الرومانية، فإن ذلك يفسر لنا عمق التأثير الذي مارسه مستوطنات موريطانيا الطنجية. لقد منح الإمبراطور كلاوديوس، ساكنة ولبلي، المواطنة الرومانية وحق الزواج من النساء المحليات والإعفاء من أداء الضرائب، كل ذلك من شأنه

⁴⁶ *Ibid.*, p.159.

⁴⁷ *Ibid.*, p.299.

⁴⁸ IAM,2,448

⁴⁹ GASGOU (J.), *La succession*, cit., p.103-124.

⁵⁰ CHRISTOL (M.), *Volubilis*, cit., p.330.

⁵¹ CHATELAIN (L.), *Le Maroc des romains, étude sur les centres antiques de la Maurétanie occidentale*, Paris, 1946, p.18.

⁵² *Ibid.*, p.330.

⁵³ يعكس مضمون النقيشة التزام سكان ولبلي بالوقوف إلى جانب روما.

⁵⁴ CHATELAIN (L.), *Le Maroc*, cit., p.336.

⁵⁵ REBUFFAT (R.), *Recherches*, cit., p.650.

أن يعوض الخسائر التي خلفتها حرب أيديمون وحصدت عددا من المدنيين والعسكريين، كانوا يتولون مهام تسيير هذه الحاضرة⁵⁶.

أثارت مسألة انتقال ويلي إلى مرتبة بلدية خلافا بين الباحثين، خلص البعض منهم إلى أن بلدية ويلي أنشئت حين اندلعت ثورة أيديمون، أي عندما تولى ماركوس فاليريوس سيفيروس قيادة كتيبة من المساعدين الوليليين، وأن الحرب خلقت فراغا اضطر معه الإمبراطور كلاوديوس إلى ترقية بعض المحاربين إلى صف المواطنين الرومان. وبهذا فإن ويلي كانت بلدية لاتينية قبل حرب أيديمون مادام أن كلاوديوس قد أنشأها خلال بداية عهده سنة 41 م، أي أنها أصبحت بلدية لاتينية وليست بلدية رومانية. هذه المسألة عارضها البعض،⁵⁷ ذلك أن الإمبراطور كلاوديوس جعل من ويلي بلدية رومانية وليس بلدية لاتينية فقط، وهذا ما توضحه النقيشة⁵⁸ التي تضمنت شكر البلدية للإمبراطور على الحصول على المواطنة⁵⁹.

أدت الحرب بعدد من الدارسين إلى الحديث عن خراب تعرضت له المدينة، إلا أن نتائج الحفريات الأخيرة فندت ذلك، إذ أكدت أن العديد من المباني قد تم تشييدها خلال هذا القرن. كما تفيد الإبيغرافية أن القرن الأول كان قرن هدوء واستقرار في عموم موريطانية الطنجية، هذا ما تعكسه العديد من الشهادات، فتعيين سيكستوس كايكيليانوس (*Sextius Caecilianus*) سنة 75 م لمهمة إدارية صرفة، يزكي فكرة اعتبار هذا القرن، بعد القضاء على ثورة أيديمون، مرحلة توسع حضري كما تؤكد ذلك البنائيات التي تم التأريخ لها اعتمادا على النقائش.

لقد عرف القرن الميلادي الأول بموازاة مع هذه المواجهات بين روما والسكان المحليين حركة عمرانية تشهد عليها المآثر العمرانية في عدد من المدن. ففي مدينة ويلي أفادت الدراسات التي اهتمت بهذه المدينة بانطلاقة عمرانية خلال هذا القرن⁶⁰، بل تم رصد هذا

⁵⁶ CUQ (E.), *La cité Punique et le municipe de Volubilis*, «C.R.A.I. », 1920, p.349.

⁵⁷ GASGOU (J.), *Municipia civium romanorum*, « Latomus », t.30, 1971, pp.138-141

⁵⁸ *ILM*, n° 56

⁵⁹ إلا أن شاستنيول (CHASTAGNOL) خالف بدوره رأي صوماني (SAUMAGNE) واتفق مع كاسكو (GASGOU (J.) فيما يخص المرحلة الأولى فقط والتي تنتهي مع وظيفة الإحصاء التي تقلدها كلاوديوس سنة 47-48 م . فعندما تتال حاضرة الحق اللاتيني أو أنها كانت تتمتع به، يمكن أن تحصل في الغالب على لقب بلدية، وابتداء من هذه الفترة، يمكن الحديث في نظر أ. شاستنيول (A.) CHASTAGNOL عن بلديات لاتينية، إذ أن كلمة بلدية أصبحت تطلق فقط، على الحواضر ذات القانون اللاتيني:

CHASTAGNOL (A.), *Considérations sur les municipes latins du premier siècle ap.jc.*, dans *l'Afrique dans l'occident romain (1er siècle av.j.-IV siècle ap.jc.)*, Actes du colloque organisé par l'Ecole Française de Rome (Rome, 3-5, decembre1987), Rome 1990, pp.354 et 355.

⁶⁰ من الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من الدراسة التي شملت ويلي خلال القرن الميلادي الأول، هي وجود تطور مماثل خلال هذه الفترة بين ويلي وباديتها:

AKERRAZ (A.), LENOIR (E.), *Volubilis et son territoire au 1er siècle de notre ère*, dans

التطور كذلك في مدن أخرى. ففي الدشر الجديد أبانت الحفريات عن توسع المدينة منذ نهاية القرن الميلادي الأول⁶¹.

وفي ليكسوس، ورغم غياب معطيات استراتيجرافية دقيقة، يمكن الحديث عن دينامية المدينة منذ فترة إنشاء الإقليم وخلال القرن الميلادي الأول. اتخذت المدينة خلال القرن الميلادي الأول شكل أوبيدوم محاط بسور⁶². إلى هذه الفترة كذلك يعود الحي الصناعي وحي المسرح وحي المعابد. كما أنه خلال هذه الفترة أو بعدها بقليل تم بناء المنازل ذات الباحات⁶³. وبذلك فإن منشآت المدينة خلال هذه الفترة كانت حلقة أخرى في التطور الذي عرفه كل الإقليم على عهد الفلافيين. أما في سلا فقد أبرزت بعض الدراسات أن أغلب المباني العمومية بنيت منذ بداية الفترة الرومانية⁶⁴. يتعلق الأمر هنا بالفوروم والكابول وكذا الحمامات، وبذلك أصبحت المدينة مركزاً حضرياً خلال القرن الميلادي الأول.

خاتمة

تمكنت روما بعد إحكام سيطرتها على بلاد نوميديا من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية في بلاد المغرب القديم. عرفت هذه السياسة مداً وجزراً في مرحلتها الأولى، قبل أن تنتهي بإحكام السيطرة على البلاد وجعلها تحت الاحتلال المباشر لروما. ومع ذلك فقد توالى خلال مراحل الاحتلال مواجهات لم تضع حداً لها لا الحملات التي كانت تجردها للقضاء عليها ولا اتفاقيات الهدنة التي كانت تعقد مع القبائل. فبعد ثلاثة قرون من الاحتلال اضطرت روما إلى الجلاء في مرحلة أولى، مع نهاية القرن الثالث، عن القسم الجنوبي من البلاد والاحتفاظ بالمجال الموجود شمال وادي اللوكوس، قبل أن تترك البلاد خلال مرحلة لاحقة.

l'Afrique dans l'occident Romain, (I av.jc.-4 ap.jc.), Actes du colloque organisé par l'école française de Rome, sous le patronage de l'institut National d'archéologie et d'art de Tunis, Rome, 3-5 décembre 1987, collection de l'école française de Rome, palais Farnèse, 1990, p.229

⁶¹ AKERRAZ (A.), et alii, *Fouilles de Dchar jdid, 1977-1980*, «B.A.M.», 14, 1981-1982, p.191.

⁶² PONSICH (M.), *Lixus : Informations archéologiques*, «A.N.R.W.», II, 10, 2, 1982, p.825.

⁶³ LENOIR (M.), *Lixus à l'époque romaine dans Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des sciences de l'archéologie et du patrimoine de Rabat avec le concours de l'école française de Rome, Larache, 8-11 novembre 1989, Rome 1992, p.286*

⁶⁴ BOUBE (J.), *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999, p.17.

بيبليوغرافيا

مجدوب محمد، مملكة الموريين وعلاقتها بروما إلى غاية 33 ق.م. د.د.ع. كلية الآداب فاس
1990-1989

AKERRAZ (A.), LENOIR (E.), *Volubilis et son territoire au 1er siècle de notre ère, dans l'Afrique dans l'occident Romain, (I av.jc.-4 ap.jc.)*, Actes du colloque organisé par l'école française de Rome, sous le patronage de l'institut National d'archéologie et d'art de Tunis, Rome, 3-5 décembre1987, collection de l'école française de Rome, palais Farnèse, 1990, pp.212-229

AKERRAZ (A.), et alii, *Fouilles de Dchar jdid, 1977-1980*, «B.A.M.», 14,1981-1982, pp.169-225.

BEHEL (M), *Fortifications préromaines au Maroc: Lixus et Volubilis, essai de comparaison*, dans *Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des sciences de l'archéologie et du patrimoine de Rabat avec le concours de l'école française de Rome*, Larache, 8-11 novembre 1989, Rome 1992 pp. 239-247.

BENABOU (M.), *La résistance africaine à la romanisation*, Paris, Maspero, 1976

BOUBE (J.), *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999

BOUZIDI (R), *Recherches archéologiques, sur le quartier du Tumulus (Volubilis)*, thèse pour l'obtention du diplôme de 3ème cycle des sciences de l'archéologie et du patrimoine, option archéologie préislamique année 2000-2001

CARCOPINO (J.), *Le Maroc antique*, Paris 1948

CHASTAGNOL (A.), *Considérations sur les municipes latins du premier siècle ap.jc.*, dans *l'Afrique dans l'occident romain (1er siècle av.j.-IV siècle qp.j.c.)*, Actes du colloque organisé par l'Ecole Française de Rome (Rome, 3-5, decembre1987), Rome 1990, pp.351-365.

CHATELAIN (L.), *Le Maroc des romains, étude sur les centres antiques de la Maurétanie occidentale*, Paris, 1946

CHRISTOL (M.), *Volubilis cité fédérée ?*, « M.E.F.R.A. », 92,1980,1, pp.329-345.

COLTELLONI-TRANNOY (M.), *Le culte royal sous les règne de Juba II et de Ptolémée*, «B.C.T.H », 1992, pp.69-81

CUQ (E.), *La cité Punique et le municipe de Volubilis*, «C.R.A.I. », 1920, pp.339-350.

DECRET (F.), FANTAR (M.), *L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines aux Vème siècle*, Paris, 1981

- EUZENNAT (M.), *Le temple C de Volubilis et les origines de la cité*, «B.A.M. », 2, 1957, pp.41- 63
- GASCOU (J.), *La succession des bona vacantia et les tribus romaines de Volubilis*, « Ant,Afr », 12, 1978, pp. 103-124.
- GHAZI-BEN MAISSA (H.), *Encore et toujours sur la mort de Ptolémée roi amazigh de Maurétanie*, « Hespéris-Tamuda », 1995, pp.21-37.
- GSELL (S.), *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, T.8, Paris 1928
- JODIN (A.), *Volubilis regia Iubae contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique précaudien*, Paris1987
- LENOIR (E.), *Traditions hellénistiques et techniques romaines dans les enceintes urbaines du Maroc*, dans *la fortification dans l'histoire politique , sociale et culturelle du monde grec* CNRS Colloque International 614(Valbonne, 8-10 Décembre), Paris, 1986, pp.337-344.
- LENOIR (M.), *Histoire d'un massacre, Apropos d'IAMlat, 448, et des bona vacantia de Volubilis dans Africa romana*, *Atti del XI Convegno di studio (Sassari, 16-18 décembre 1988)*, Sassari 1989, pp.89-103
- LENOIR (M.), *Lixus à l'époque romaine dans Lixus*, *Actes du colloque organisé par l'Institut des sciences de l'archéologie et du patrimoine de Rabat avec le concours de l'école française de Rome, Larache, 8-11 novembre 1989*, Rome 1992, p.286
- LEVEAU (PH.), *Caesarea de Maurétanie, ville romaine et ses compagnes*, Coll .E.F.R., n.70, 1984
- PLINE (L.), *H.N.*, V.5 , Texte établi, traduit et commenté par Desanges (J.), Paris , 1980.
- PONSICH (M.), *Lixus : Informations archéologiques*, «A.N.R.W. », II, 10, 2,1982, pp. 817-849.
- RACHET(M.), *Rome et les berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien*, Bruxelles, 1970.
- REBUFFAT (R.), *L'armée de la Maurétanie Tingitane*, « M.E.F.R.», t.1, 1998, pp.132-128.
- TARRADELL (M.), *Marruecos punico*, Tetuan, 1960.